طاولات مستديرة

تجارب مميزة من غرفة الصف

حرصاً على الإفساح في المجال لأساتذة التاريخ العاملين في الميدان لعرض تجاربهم والتباحث حولها مع زملائهم، جمعت لجنة المؤتمر الأساتذة في مجموعتين حول طاول مستديرة لكل منهما حيث قدم عدد من الأساتذة تقارير عن بعض أعمالهم وناقشوا تجاربهم في جو مهني منفتح.

المجموعة الأولى

أدار الجلسة رئيس الهيئة اللبنانية للعلوم التربوية **الدكتور رؤوف الغصيني** وقدمت مداخلات من الأساتذة: حبيب غفري (مدرسة قدموس، صور)، مهى نعساني (ثانوية الحريري الثانية، بيروت)، أمل البتديني (مدارس العرفان، السمقانية)، خالد فاضل (ثانوية راهبات الوردية، قرنة الحمراء)، ونبيلة بهجة (ثانوية راهبات القلبين الأقدسين، البوشرية).

عرض الأستاذ **حبيب غفري** تجربة في تطوير مهارات الحس النقدي من خلال دراسة سياسة التتريك العثمانية. وركّز على الأمور التالية:

١. ضرورة تنمية الوعي السياسي والاجتماعي والثقافي وروح المواطنة لدى التلامذة من خلال تشجيع الدراسة والبحث في الموسوعات والجرائد والمجلات والإنترنت.

٢. الربط بين الماضي والحاضر وتوضيح اتجاه المستقبل مع مراعاة الصدق والموضوعية.

٣. إتاحة الفرص للأفراد والجماعات من خلال التوعية الثقافية للإحساس الآمن في المستقبل.

٤. تنمية فكرة التفاهم الدولي رغم العراقيل العنصرية المتعددة.

٥. فهم القضايا العالمية المعاصرة وإدراك أهمية التعاون بين الشعوب.

أما الأساليب المعرفية لإدراك أهداف ومفاهيم هذه التجربة فعدّدها الأستاذ غفري كما يلي:

- الأبحاث الموضوعية (أقراص مدمجة، كتب ومجلات، موسوعات، كمبيوتر وإنترنت)
- الإطلاع على أكثر من مرجع ورأي.
- احترام آراء جميع المؤرخين وعدم إهمال أي منها ووضعها تحت مجهر المقارنة والتحليل.
- العمل على بلورتها وصياغتها لتواكب مفهوم الدولة الحديثة وتكون أهلاً للاندماج في مسيرة العولمة الإنسانية الواحدة.

وشرحت الأستاذة **مهى نعساني** إستراتيجية اعتمدتها لدراسة مرحلة الحكم العثماني من خلال نشاطات بحثية قام بها الطلاب حول منطقة زقاق البلاط التي شهدت قيام مؤسسات تربوية وثقافية خاصة كالمدرسة الوطنية البستانية والمدرسة المعنية والمعهد العربي الألماني للدراسات الشرقية والمعهد العالي للدراسات الإسلامية ومعهد مار يوسف الظهور. وتعرّف الطلاب كذلك عبر الزيارات والمقابلات التي أجروها مع عائلات المنطقة إلى الشخصيات التي كان لها دور بارز في تلك الحقبة أمثال الشيخ بطرس البستاني وناصيف اليازجي وعبد القادر قباني وحسين بيهم وعبد الفتاح آغا حمادة والشيخ أحمد عباس الأزهري وعارف النكدي. إلى جانب الصروح التربوية والثقافية ومؤسسيها، توجهت أبحاث الطلبة نحو فن العمارة في المنطقة. فبالتجول في شوارع المنطقة وزواريبها تبين لهم نمطان من العمران: العمران الحديث المتمثل بالبنايات المرتفعة، والعمران القديم الذي يضم قصوراً تملكها عائلات معروفة مثل حنيني وزيادة وفرج الله وخوري وبخيش وغيرها. ومن الاستنتاجات التي توصلت إليها أبحاث الطلاب بإشراف المعلمة أن أكثر المباني والقصور تمركزت في الأجزاء العلوية للمنحدر الموجود في المنطقة والذي يطلّ غلى المدينة القديمة والبحر. كما تميزت قصور الحقبة العثمانية بأنماط التزيين الداخلي الرائعة والتي تعكس تأثيرات الفن الأوروبي مثل الزخرفة المفرطة. وقد توسعت الأبحاث الدراسية بوصف معالم تلك القصور التاريخية بتفصيل من حيث أروقتها وأنماط الزينة الشرفية فيها وأشارت إلى مجمع مبان من العهد العثماني متجمعة حول فناء مفتوح، وكان المجمّع يعرف بمركز الشرطة أو الحرس العثماني أو الكركول.

وهكذا، تمكن الطلبة من اكتساب معلومات قيمة عن الحقبة العثمانية عبر تلمّس آثارها في منطقة صغيرة لكنها غنية بمصادرها التاريخية. وإلى جانب التزود بالمعرفة التاريخية، عمل الطلبة بإشراف المعلمة كباحثين ومؤرخين إذ أتوا بمعلومات لا يمكن أن ينسوها واكتسبوا مهارات التقصي والتساؤل والتحليل والاستنتاج، وهي مهارات لا يمكن اكتسابها من قراءة النصوص.

وفي السياق عينه، عرضت الأستاذة **أمل البتديني** تجربتها مع طلبتها في دراسة حقبة الإمارة المعنية (١٢١٦-١٦٩٧).

«فانطلاقاً من قناعاتنا بأهمية الآثار والمخلّفات العمرانية التي تضع لبنان على خارطة السياحة العالمية، تلك الآثار التي تتوزّع في مناطقنا وبلداتنا. وإيماننا بأهميتها التاريخية والثقافية والعمرانية، وحتى لا نستمر في تدريس مادة التاريخ في مدارسنا بطريقة تقليدية، إعتمدنا المقاربة التالية: إخترنا الصف الثامن أساسي (محور الإمارة المعنيّة): بعد شرح دروس هذا المحور تم تكليف الطلاب بإجراء أبحاث لجمع المعلومات، وعرضت من قبلهم في غرفة الصف.. ولدينا .C.D مصوّر كنموذج للإطلاع عليه.. ثم قمنا بزيارة المواقع الأثرية التي تعود لتلك الحقبة الزمنية في «دير القمر» وتم تصوير الفيلم الوثائقي من قبل الطلاب، ووزعت استمارة على الجميع تحوي مجموعة أسئلة طلب من التلاميذ تعبئتها في الموقع، ولدينا نموذج .C.D عن هذا الفيلم الوثائقي لمشاهدته أيضاً. ونكون بذلك قد انطلقنا في تدريس المادة من مواقع حيّة شاهدة على عظمة الأمراء المعنيين الذين سعوا إلى تحقيق الاستقلال والازدهار للبنان، ولاسيما إنجازات الأمير فخر الدين الثاني الكبير العمرانية والفكرية والإنسانية وانفتاحه على الغرب، وسعيه لتحقيق الوحدة اللبنانية واستقلال لبنان».

يظهر من عرض المعلمة أنها اعتمدت إستراتيجية من ثلاث مراحل:

١. شرح دروس المحور وتحديد موضوعات البحث.

٢. القيام بالأبحاث وعرضها في الصف.

٣. زيارة الأماكن الأثرية وتصويرها واعتماد الاستمارات كوسيلة لجمع المعلومات والمقارنة والتحليل.

ومع أن المعلمة كان لها الدور الرئيس في شرح الدروس وفي تحديد المواضيع التي أجرى الطلاب أبحاثهم حولها، فقد أفسحت في المجال للطلاب أنفسهم أن يقرروا مسار أبحاثهم ويتوصلوا إلى استنتاجاتهم ويدافعوا عنها أمام زملائهم. كذلك وفرت لهم زيارة المواقع الأثرية في دير القمر وبعقلين وبيت الدين فرصة ممارسة مهاراتهم في

التصوير والعمل المشترك لربط النصوص التاريخية بالصور الملائمة ضمن إطار الفيلم الوثائقي الذي أنجزوه عن تلك الحقبة التاريخية. وهكذا، تعرّف الطلاب مرحلة الأمارة المعنية والإنجازات العمرانية والثقافية والاقتصادية التي تحققت خلالها، وتتبعوا مساعي الأمراء المعنيين للتحرر من السلطة العثمانية، واستعرضوا سياسة الانفتاح التي اعتمدها الأمير فخر الدين الثاني الكبير نحو الغرب (توسكانا) وتأثره بالحضارة الغربية. وبذلك، «لم تعد مادة التاريخ بالنسبة للطلاب مادة تلقين وحفظ للمعلومات، بل تحولت إلى نشاط تطبيقي، هو التفتيش عن المعرفة والتوسع في استكشافها والتدقيق في مضمونها من خلال الأماكن التاريخية. وكان العمل مصدر فرح للطلاب لأنهم ساهموا في إظهار الأحداث إلى الواجهة من خلال الفيلم الوثائقي المصور».

أما الأستاذ **خالد فاضل** فكان عنوان مداخلته «**التعلم بالعمل**»، فدعا إلى تطوير تدريس التاريخ باعتماد التربية الشمولية حيث تتلاقى مواد التاريخ بالمواد الجغرافية وبالتربية وبغيرها من المواد الأخرى، وبالابتعاد عن التحفيظ، وتحويل روح المادة إلى واقع معيوش وجعل مادة التاريخ صناعة وطنية يسهم الطالب نفسه في إنتاجها من خلال العمل البحثي والتفاعل الميداني مع المواقع التاريخية. وركّز على دور تعليم التاريخ في تعزيز الانتماء الوطني وتنمية التعلق بالأرض لدى الناشئة. وقال إن اعتماد آلية التعلم بالعمل من خلال البحث والمشاهدة وتدوين الملاحظات والنتائج يخلق لدى المتعلم الرغبة واكتساب حشرية التفتيش والتقميش والتركيز على المصادر الأساسية للحدث التاريخي. ودعا إلى تحويل تعليم التاريخ إلى أنشطة صفية أو لاصفية عن طريق الأبحاث والزيارات الميدانية والرحلات ومشاهدة الأفلام الوثائقية وتحليل الرسوم الكاريكاتورية والوثائق التاريخية. «وما يساعد على هذا النوع من الدراسات أن أرض لبنان خصبة غنيّة بالحضارات المتنوعة».

وتجسيداً لهذه النظرة إلى تعليم التاريخ، عرض الأستاذ فاضل على سبيل المثال كيفية دراسة موضوع «استقلال لبنان عام ١٩٤٣» في الصف التاسع الأساسي أو الثالث الثانوي. وإذ حدد دور المعلم بالتوجيه ودور المتعلم بالعمل، تولى تقسيم التلامذة إلى فرق للقيام بأبحاث حول الاستقلال (رجالات الاستقلال، قصة الاستقلال، قلعة الاستقلال في راشيا، الخ...)، ثم جرى تصنيف الأبحاث وتبويبها وعرضها ومناقشتها. وأفرد اهتمام خاص لقلعة راشيا، فقام الطلاب بزيارتها للتعرف إلى معالمها وموقعها ومحيطها الجغرافي والاجتماعي، وذلك في إطار أسئلة تحليلية واستنتاجية

مثل: لماذا راشيا؟ ما علاقة القلعة بالاستقلال؟ لماذا سجن رجالات الاستقلال في راشيا؟ ما نتائج ما أقدم عليه الفرنسيون؟ كيف كانت النهاية؟

وكخاتمة تقييمية للعمل، أجرى الطلبة «مقارنة بين الأمس واليوم» في ضوء السؤال التالي: ما الذي بقي لنا من استقلال الأمس لليوم على الصعيد الوطني؟

وخلص الأستاذ فاضل إلى القول إن هذا العمل يتطلب جهداً ووقتاً إضافيين من المعلم والطالب، لكن فائدته كبيرة إذ يمكن الطالب من أن يرى، يكتشف، يحلّل، يستنتج، يتبين الأسباب والنتائج، ويعتمد على نفسه في تقصي المعلومات وإبداء الرأي.

ثم عرضت الأستاذة **نبيلة بهجة** الطرق والأساليب التي تتبعها في تدريس مادة التاريخ، واعتمدت مرجعاً لها موضوع الحرب العالمية الثانية. ولخصت هذه الطرق والأساليب بما يلي:

- التشويق والاستمالة للبدء بالشرح عن طريق خبر ما على الساحة المحلية، صورة، مستند، إشكالية...
- الإفساح في المجال للمتعلمين للتعبير وقول ما لديهم ضمن المقصود.
- عرض الأهداف المراد تحقيقها.
- الشرح لدقائق قليلة وترك الوقت الباقي للمتعلمين لدفعهم إلى المشاركة والمتابعة
- بحث مسبق يحضّره متعلم أو أكثر حول شخصية تاريخية موجودة في الدرس أو المحور يعرض أمام الجميع.
- اعتماد الحوار والنقاش وترك المتعلم يعبّر ويتوقع ويفسّر ويحلّل.
- التركيز على الأحداث والتواريخ.
- استخدام خارطة لمعرفة موقع الحدث أو المكان المراد.
- نشاط ما يعطى للمتعلمين للتمكّن من الدرس (حتى الرسم يمكن الاستعانة به).
- أحياناً يحضّر المتعلمون درسهم في البيت؛ يقرأون وينتقون الأفكار الرئيسة ليتم عرضها في الصف.
- إجراء تقييم للدرس أو المحور من خلال أسئلة قصيرة وسريعة في نهاية الوقت أو في المرة التالية شفهياً أو كتابياً.
- الوسائل المعتمدة: الكتاب ومستنداته، صورة، نص، قول تاريخي، خارطة، مكتبة الثانوية وقاعة إنترنت.

وعدّدت الأستاذة بهجة المهارات والاتجاهات التي تصرّ على تنميتها لدى طلبتها،

وهي تشمل تعزيز المواطنية وتنمية حرية التفكير والتعبير، احترام الرأي الآخر، فن الاستماع والإصغاء، القدرة على التحاور والمشاركة وآدابها، واحترام الوقت المقرّر، والقدرة على التخطيط الناجح والعمل على مراحل، ومهارات استخدام الخريطة.

وركزت على أهمية توصل الطلبة إلى استنتاجات نابعة من الحقبة التاريخية التي جرت دراستها ومناقشتها والتحاور حولها، فأشارت إلى استنتاجات متعلقة بمحور الحرب العالمية الثانية مثل: «الحرب خاسرة حتى للرابح»، «الإبقاء للديكتاتورية رغم قوتها»، «حل المشاكل بالطرق السلمية يبقى الحل الأفضل».

وذكرت بين العوامل المساعدة على التعلم بفعالية: حب المادة، ذاكرة تاريخية جيدة، القدرة على التشويق، الربط بين الحاضر والماضي، احترام خلفيات المتعلمين الاجتماعية والسياسية، والتزام الحياد حول المسائل الخلافية. وأكدت على ضرورة ربط مادة التاريخ بالمواد الدراسية الأخرى ولاسيما الجغرافيا.

وتلا تقديمات الأساتذة نقاش وتعليقات من الحضور. تحدث الأستاذ **شارل حايك** (معهد القديس، عينطورة) عن منظمة اسمها «بلادي» تتولى تنظيم رحلات تثقيفية إلى الأماكن الأثرية والتاريخية والمحميات الطبيعية. وكانت له تجربة ناجحة معها في دراسة التراث المعماري اللبناني التي قام بها بعض طلابه. ولها صفحة على فايس بوك حيث تضع كل أسبوع «حزورة» لها علاقة بتاريخ لبنان، ودعا الحضور إلى الاستفادة من خدمات هذه المؤسسة. وأكدّ على ضرورة اعتماد الدقة في دراسة علم الآثار ومصطلحاته.

وعرض الأستاذ **سهيل الحيدري** (مدرسة تحويطة الغدير الرسمية) الطريق الناشطة التي اعتمدها مع طلابه في دراسة محور الاستقلال حيث توزع التلامذة في مجموعات تولت كل منها دراسة أحد جوانب المحور اعتماداً على الوثائق المتوافرة، ونوّه بأهمية الوثائق على الأخص. وتكلم عن تجربته في مادة الدراما الإبداعية وفائدتها الكبرى للمعلمين والمتعلمين على السواء، إذ يتعلم المرء من خلالها كيف يتكلم، كيف يرفع أو يخفض صوته، وكيف يستعمل يديه وحركاته الجسدية للتعبير عن أفكاره ومشاعره. وقال إن الدراما الإبداعية ذات أهمية مميزة في درس التاريخ، إذ تساعد المعلم على جذب انتباه الطلبة وإثارة اهتماماتهم، كما أنها تبعث الحياة في الأحداث التاريخية التي يمكن للطلبة أن يقوموا بتمثيلها ويتقمصوا شخصياتها.

وأكدت الأستاذة **أمل البتديني** على أهمية معايير الإلقاء النوعي التي تساعد الطلبة على استنتاجها بأنفسهم من خلال أسئلة توجّه إليهم ثم يكتسبونها ويمارسونها في تقديماتهم.

وأشار الأستاذ **محمد أبو إسبر** (مدارس المهدي) إلى أن العولمة الثقافية لها تأثيراتها الإيجابية والسلبية كذلك. وكانت له ملاحظة عامة حول الرحلات إلى الأماكن التاريخية فدعا إلى عدم حصرها بالمحيط الجغرافي للمدرسة وإلى توسيعها لتشمل مختلف المناطق اللبنانية، واقترح أن يقوم تعاون بين المدارس لهذا الغرض.

وتحدثت الأستاذة **يوكي فان ديرليو-رورد** (المديرة التنفيذية للرابطة الأوروبية لأساتذة التاريخ)، فأعربت عن سرورها بحضور هذه الجلسة والاستماع إلى التجارب الميدانية التي عرضت، ونوّهت على الأخص بالاعتماد على عناصر التراث في دراسة التاريخ ودعت الأساتذة إلى توجيه عناية خاصة للتربية التراثية والحفاظ على التراث. وتوجهت إلى الحضور قائلة: «إذا كنتم تتحدثون عن أهمية التشبيك والجمعيات فأنا أقترح عليكم أن تقيموا مشاركة أو رابطة بينكم وبين أوروبا تضم مجموعة خبراء التاريخ أو المعلمين في مجال التاريخ. وطبعاً إنكم جميعاً سعداء وفخورون بعقد هذا المؤتمر الذي يجمعكم جميعاً ولكن لدى إقامة جمعية مشتركة وإيانا سوف يسرّنا أن نعمل معاً وأن نعقد ورشة عمل كهذه مع الرابطة الأوروبية لأساتذة التاريخ، فإقامة شراكة بيننا أو شبكة من شأنها أن تدعّم وتعزّز عملنا المشترك».

وأبدى الدكتور **عصام خليفة** (الجامعة اللبنانية) عدداً من الملاحظات التاريخية المتعلقة بالعروض التي قدمت في الجلسة وشدّد على دور اللبنانيين في قيادة الإصلاح في الدولة العثمانية وأشار إلى أن أهم ما أنجزه الأمير فخر الدين هو العيش المشترك بحيث أصبح الناس يعيشون مع بعضهم بعضاً في قرى مشتركة. أما بالنسبة للاستقلال، فاعتبر أن الاستقلال ليس حدثاً ملتصقاً بتاريخ معيّن وحسب، بل هو حركة ابتدأت عام ١٩٤٣ ويجب أن تظل مستمرة. إنها فعل كل يوم وهذا ما يجب أن يدخل في عقل كل مواطن. وأضاف أن اللبنانيين توحدوا عام ١٩٤٣ حول ميثاق وطني فانتصروا، ولم يتيحوا للدول الأجنبية أن تلعب بهم، بل لعبوا هم بالصراع الدولي. ودعا إلى إبراز دور الذين قادوا الصراع الشعبي واستشهدوا من أجل الاستقلال.

أما الدكتور **سمير جرار** (الهيئة اللبنانية للعلوم التربوية) فعرض مقاربة للمناهج تمثلت بجمع المواد الدراسية بما فيها التاريخ والجغرافيا في وحدات دراسية مشتركة على أن يكون محورها إحدى المحافظات الست كل سنة، فيتعرف الطلبة إلى تاريخ المحافظة وجغرافيتها ومعالمها ويكتسبون معارفهم ومهاراتهم الرياضية والعلمية واللغوية والفنية من خلالها. وفي السنوات التالية تتركز الدراسة على المحافظات الأخرى،

بمعدّل محافظة كل سنة. ورأى أن هذه المقاربة تزيد الطلبة تعمقاً في دراسة أوضاع وطنهم من جوانبها المختلفة وتجعل التعلم ذا معنى وذا فائدة.

وأشار الأستاذ **عدنان ناقوزي** (مدارس الإيمان-صيدا) إلى مسألة التواصل بين أساتذة التاريخ في لبنان، فتحدث عن الشبكة المدرسية التي أنشئت في صيدا ومحيطها ودعا إلى الاستفادة من تجربتها. كما أكدّ على ضرورة مشاركة أساتذة التاريخ الذين يتولون التصحيح والتدقيق في امتحانات الشهادتين المتوسطة والثانوية العامة بالنظر لخبرتهم ومعرفتهم بالمشكلات التي يواجهها تدريس مادة التاريخ.

وتحدثت الأستاذة **لينا هلال** (ثانوية قرنايل) فشكرت القيمين على تنظيم المؤتمر وقالت إن أهميته تكمن في مسألتين: الأولى أنه فتح مجالاً للنقاش وتبادل الآراء، «ونحن بحاجة لنقاش أوسع وأكثر تعمقاً بين المهتمين بتعليم التاريخ والمؤمنين بأهمية هذه المادة في بناء الوطن والمواطن». والثانية أنه وفّر لنا الفرصة لتعرّف تجارب عالمية رائدة من دول عانت الحروب واستطاعت بالمعرفة والثقافة والتربية أن تتخطى حالة الحرب وتؤسس لمستقبل جديد وتعلم بناء ذاكرة جماعية. كما أن الطرائق الناشطة التي عرضت كانت ذات فائدة مميزة وأظهرت أنه بالإمكان تطبيق أسلوب سوسيو-بنائي في تعليم وتعلّم التاريخ.

واختتم الجلسة رئيس الهيئة اللبنانية للعلوم التربوية الدكتور **رؤوف الغصيني** فوجّه الشكر إلى جميع الذين تقدموا بمداخلاتهم وتعليقاتهم، ودعا إلى تجنب الوقوع في وهم البحث عن «الطريقة المثلى» لتعليم التاريخ لأن لكل طريقة، تقليدية كانت أم حديثة، ميزاتها وفائدتها في الظرف المناسب ووفق الأهداف المبتغاة. غير أنه أكّد على ضرورة النقاش المستمر والبحث المتعمق عن معاني شعارات تربوية رائجة «كاعتماد الطرائق الناشطة» وجعل «المتعلم محور العملية التعليمية». ونوّه الدكتور الغصيني بالمشاركة الفعالة التي قدمها مندوبو الرابطة الأوروبية لأساتذة التاريخ ومعهد إيكهارت لمراجعة الكتب المدرسية وجامعتي لندن وإدج هيل، وأعلن عن عزم الهيئة اللبنانية للعلوم التربوية على مواصلة العمل مع هذه الهيئات (لاسيّما الرابطة الأوروبية EUROCLIO) من أجل إقامة لقاء دائم لأساتذة التاريخ في لبنان يهدف إلى التواصل المستمر بينهم وتبادل الخبرات والمعلومات لما فيه تعزيز تعليم مادة التاريخ وجعلها في موقع مهني رفيع.